

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

نَرَى أَحْسَنَ تَطْبِيقٍ مَا ذَكَرْنَا فِي رَدِّ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَمَا مَرِضَ وَتُوْفِيَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا. فَإِنَّ الصَّحَابَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) رَأَوْا عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَدْرِفَانِ، فَسَأَلَهُ أَحَدُهُمْ: "وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا رَحْمَةٌ» وَأَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَعْزُونُونَ»² فَذَكَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَاتِهِ بَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا إِذَا

أَصَابَتْنا مُصِيبَةٌ أَنْ لَا نَعْصِي اللَّهَ بَلْ نَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ. فَإِذَا شَعَرْنَا بِالْحُزْنِ وَالْهَمِّ وَالْكَرْبِ فَزِدَادُ تَوَكُّلًا وَعِظْمَادًا عَلَى اللَّهِ، وَإِيمَانًا بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا»³

إِخْوَتِي الْقِيَمُونَ،

إِذَا لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ مُتَسَرِّعًا مَتَهَوِّرًا عِنْدَ الْمَصَائِبِ. بَلْ نَسْتَحْضِرُ أَنَّ حُزْنَنا وَكَرْبِنَا تَحْتَ سَيْطَرَةِ اللَّهِ. وَذَلِكَ أَوَّلُ مَرَحَلَةِ الصَّبْرِ. وَالْمَرَحَلَةُ الثَّانِيَةُ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ. هَكَذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَحْكِمَ عَلَى حُزْنِنَا وَكَرْبِنَا وَغَضَبِنَا، وَنُحْيِيَ بِهَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيْنَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ إِذَا جَاهَدْنَا وَاجْتَهَدْنَا سَيَزِيدُ حُبَّهُ لَنَا وَأَنَّهُ سَيَنْصُرُنَا. فَإِنَّ إِدَارَةَ النَّفْسِ تَقْتَضِي مَعْرِفَةَ السَّبِيلِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّبَوُّبَةَ وَالْجُهْدَ فِي اتِّبَاعِهَا وَالْوُصُولَ إِلَى السَّكِينَةِ وَنَشْرُهَا. فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ هُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ.

فَوَقَّفَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جِهَادِنَا أَنْفُسَنَا وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا سَكِينَتَهُ

المُوصِلَةَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ. آمِينَ



إِنَّ الْإِسْلَامَ نِظَامٌ إِلَهِيٌّ يَرْتَبُ أُمُورَ النَّاسِ عَامَةً، وَأُمُورَ الْمُسْلِمِينَ خَاصَةً. وَإِنَّهُ يَتَطَرَّقُ إِلَى كُلِّ نَوَاحِي الْحَيَاةِ، فَيَشْمَلُ الْفِكْرَ وَالْفَهْمَ وَالْحِسَّ وَالْمُعَامَلَاتِ، فَهُوَ أُسْلُوبُ حَيَاةٍ كَامِلٍ. وَيُعَلِّمُنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ بِسُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ كَيْفِيَّةَ الْمُعَامَلَةِ عِنْدَ مُوَاجَهَةِ حَوَادِثِ الْحَيَاةِ، وَكَيْفَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُرَدَّ عَلَيْهَا. مِنْ أَهَمِّ مَا نَتَعَلَّمُهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُعَامَلَةُ وَالرُّدُّ عَلَى الْمَصَائِبِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ،

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾¹ يَطْلُبُ مِنَّا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ لَا نُضَيِّعَ أَنْفُسَنَا وَلَا نَخَافَ فِي حَالَةِ الْحُزْنِ. بَلْ يَحْتَشُنَّا عَلَى أَنْ نَعْتَمِدَ وَنَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ. فَيَذَكِّرُنَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَأَنَّهُ الْأَعْلَمُ بِحُزْنِنَا وَكَرْبِنَا وَأَنَّهُ لَا يَخْذُلُنَا. وَالتَّوَكُّلُ يُقَوِّينَا ضِدَّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَيَحْفَظُنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهَا. وَإِذَا نَهَانَا رَبُّنَا بِقَوْلِهِ ﴿لَا تَحْزَنُوا﴾ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الشُّعُورَ الْحَزِينَةَ مَمْنُوعَةٌ بِذَاتِهَا. بَلِ الْمُرَادُ النَّهْيُ عَنِ الْأَفْعَالِ الْمَكْرُوهَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْحُزْنِ.

³ صحيح ابن حبان، رقم الحديث (٨٦٤)

¹ سورة المجادلة: ١٠

² صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ٤٤، رقم الحديث (١٣٠٣)